فقد افحمه غير مرة فنهض وقال الا يا قومنا ارتحلوا وسيروا فلو ترك القطا لغفا ونام فقال ابن الزبير يا صاحب
القطا اقبل علي فما كنت لتدعني حتى اقول وايم الله لقد عرف الاقوام اني سابق غير مسبوق وابن حواري وصديق
متبجح في الشرف الانيق خير من طليق وابن طليق فقال ابن عباس وسعت بجرتك فلم تبق شيئا هذا الكلام مردود
من امرء حسود فان كنت سابقا فالى من سبقت وان كنت فاخرا فبمن فخرت فان كنت ادركت هذا الفخر باسرتك
دون اسرتنا فالفخر لك علينا وان كنت انما ادركته باسرتنا فالفخر لنا عليك والكثكث في فمك ويديك
واما ما ذكرت من الطليق فوالله لقد ابتلي فصبر وانعم عليه فشكر وان كان والله لوفيا كريما غير ناقض بيعة بعد
توكيدها ولا مسلم كتيبة بعد التامر عليها فقال ابن الزبير اتعير الزبير بالجبن والله انك لتعلم منه خلاف
ذلك قال ابن عباس والله اني لا اعلم الا انه فر وما كر وحارب فما صبر وبايع فما تمم وقطع الرحم وانكر الفضل ورام
ما ليس له باهل وادرك منها بعض ما كان يرتجي وقصر عن جري الكرام وبلد وما كان الا كالهجين امامه عتاق
فجاراه العتاق فاجهده فقال ابن الزبير لم تبق يا بني هاشم غير المشاتمة والمضاربة فقال عبد الله بن الحصين بن
الحرث اقمناه عنك يا ابن الزبير وتابى الا منازعته والله لو نازعته من ساعتك الى انقضاء عمرك ما كنت الا
كالسغب الظمآن يفتح فاه يستزيد من الريح فلا يشبع من سغب ولا يروى من عطش فقل ان شئت او فدع وانصرف
القوم **الاصل** ومن خطبة له عليه السلام امين وحيه وخاتم رسله وبشير رحمته ونذير نقمته ايها الناس ان احق
الناس بهذا الامر اقواهم عليه واعلمهم بامر الله فيه فان شغب شاغب استعتب فان ابى قوتل ولعمري لئن
كانت الامامة لا تنعقد حتى تحضرها عامة الناس ما الى ذلك سبيل ولكن اهلها يحكمون على من غاب عنها
ثم ليس للشاهد ان يرجع ولا للغائب ان يختار الا واني اقاتل رجلين رجلا ادعى ما ليس له وآخر منع الذي
عليه **الشرح** صدر الكلام في ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله ويتلوه فصول اولها ان احق الناس بالامامة
اقواهم عليها واعلمهم بحكم الله فيها وهذا لا ينافي مذهب اصحابنا البغداديين في صحة امامة المفضول لانه ما قال
ان امامة غير الاقوى فاسدة ولكنه قال ان الاقوى احق واصحابنا لا ينكرون انه عليه السلام احق ممن تقدمه بالامامة
مع قولهم بصحة امامة المتقدمين لانه لا منافاة بين كونه احق وبين صحة امامة غيره فان قلت اي فرق بين
اقواهم عليه واعلمهم بامر الله فيه قلت اقواهم احسنهم سياسة واعلمهم بامر الله اكثرهم علما واجرى للتدبير
بمقتضى العلم وبين الامرين فرق واضح فقد يكون سائسا حاذقا ولا يكون عالما بالفقه وقد يكون سائسا فقيها
ولا يجري التدبير على مقتضى علمه وفقهه وثانيها ان الامامة لا يشترط في صحة انعقادها ان يحضرها الناس كافة لانه
لو كان مشترطا لادى الى ان لا تنعقد امامة ابدا لتعذر اجتماع المسلمين من اطراف الارض ولكنها تنعقد بعقد
العلماء واهل الحل والعقد الحاضرين ثم لا يجوز بعد عقدها لحاضريها ان يرجعوا من غير سبب يقتضي رجوعهم ولا
يجوز لمن غاب عنها ان يختار غير من عقد له بل يكون محجوجا بعقد الحاضرين مكلفا طاعة الامام المعقود له وعلى
هذا جرت الحال في خلافة ابي بكر وعمر وعثمان وانعقد اجماع المسلمين عليه وهذا الكلام تصريح بصحة مذهب اصحابنا
في ان الاختيار طريق الى الامامة ومبطل لما تقوله الامامية من دعوى النص عليه ومن قولهم لا طريق الى الامامة سوى
النص او المعجز وثالثها ان الخارج على الامام يستعتب اولا بالكلام والمراسلة فان ابى قوتل وهذا هو نص الكتاب العزيز
وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احديهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله
ورابعها انه يقاتل احد رجلين اما رجلا ادعى ما ليس له نحو ان يخرج على الامام من يدعي الخلافة لنفسه ويمتنع من الطاعة
فقط فان قلت الخارج على الامام يدعي الخلافة لنفسه مانع ما عليه ايضا لانه قد امتنع من الطاعة فقد دخل احد
القسمين في الآخر قلت لما كان مدعي الخلافة قد اجتمع له امران ايجابي وسلبي فالايجابي دعواه الخلافة والسلبي امتناعه
من الطاعة كان متميزا ممن لم يحصل له الا القسم السلبي فقط وهو مانع الطاعة لا غير وكان الاحسن في فن علم
البيان ان يشتمل اللفظ على التقسيم الحاصر للايجاب والسلب ولذلك قال اما مدعيا ما ليس له او مانعا ما هو عليه

الامر

الاصل اوصيكم عباد الله بتقوى الله فانها خير ما تواصى العباد به وخير عواقب الامور عند الله وقد فتح باب الحرب بينكم
وبين اهل القبلة ولا يحمل هذا العلم الا اهل البصر والصبر والعلم بمواضع الحق فامضوا لما تؤمرون به وقفوا عند
ما تنهون عنه ولا تعجلوا في امر حتى تتبينوا فان لنا مع كل امر تنكرونه غيرا الا وان هذه الدنيا التي اصبحتم تتمنونها
وترغبون فيها واصبحت تغضبكم وترضيكم ليست بداركم ولا منزلكم الذي خلقتم له ولا الذي دعيتم اليه الا وانها
ليست بباقية لكم ولا تبقون عليها وهي وان غرتكم منها فقد حذرتكم شرها فدعوا غرورها لتحذيرها واطماعها لتخويفها
وسابقوا الى الدار التي دعيتم اليها وانصرفوا بقلوبكم عنها ولا يخنن احدكم خنين الامة على ما زوي عنه منها واستتموا
نعمة الله عليكم بالصبر على طاعة الله والمحافظة على ما استحفظكم من كتابه الا وانه لا يضركم تضييع شيء من دنياكم
بعد حفظكم قائمة دينكم الا وانه لا ينفعكم بعد تضييع دينكم شيء حافظتم عليه من امر دنياكم اخذ الله بقلوبنا
وقلوبكم الى الحق والهمنا واياكم الصبر **الشرح** لم يكن المسلمون قبل حرب الجمل يعرفون كيفية قتال اهل القبلة وانما
تعلموا فقه ذلك من امير المؤمنين عم وقال الشافعي لولا علي لما عرف شيء من احكام اهل البغي قوله عم ولا يحمل هذا
العلم الا اهل البصر وذلك لان المسلمين عظم عندهم حرب اهل القبلة واكبروه ومن اقدم عليه منهم اقدم على خوف
وحذر فقال عليه السلام ان هذا العلم ليس يدركه كل واحد وانما له قوم مخصوصون ثم امرهم بالمضي عندما يامرهم به
وبالانتهاء عما ينهاهم عنه ونهاهم عن ان يعجلوا بالحكم على امر ملتبس حتى يتبين ويتضح ثم قال ان عندنا تغييرا
لكل ما ينكرونه من الامور التي يثبت انه يجب انكارها وتغييرها اي لست كعثمان اصر على ارتكاب ما نهي عنه بل اغير
كل ما ينكره المسلمون ويقتضي الحال والشرع تغييره ثم ذكر ان الدنيا التي تغضب الناس وترضيهم وهي منتهى امانيهم
ورغبتهم ليست دارهم وانما هي طريق الى الدار الاخرى ومدة اللبث في ذلك الطريق يسيرة جدا وقال انها وان كانت
غرارة فانها منذرة ومحذرة لابنائها بما رووه من آثارها في سلفهم واخوانهم واحبائهم ومناداتها على نفسها بانها
فاعلة بهم ما فعلت باولئك من الفناء وفراق المالوف قال فدعوا غرورها لتحذيرها وذلك لان جانب تحذيرها اولى ان
يعمل عليه من جانب غرورها لان غرورها انما هو بامر سريع التصرم والانقضاء وتحذيرها انما هو لامر جليل عظيم فان
الفناء المعجل محسوس وقد دل العقل والشرائع كافة على ان بعد ذلك الفناء سعادة وشقاوة فينبغي للعاقل ان يحذر
من تلك الشقاوة ويرغب في تلك السعادة ولا سبيل الى ذلك الا برفض غرور الدنيا على انه لو لم يكن ذلك لكان الواجب
على اهل اللب والبصيرة رفضها لان الموجود منها شبيه بالخيال فانه اشبه شيء باحلام المنام فالتمسك به والاخلاد اليه حمق
والخنين صوت يخرج من الانف عند البكاء واضافه الى الامة لان الاماء كثيرا ما يضربن فيبكين ويسمع الخنين منهن
ولان الحرة تانف من البكاء والخنين وزوي قبض ثم ذكر انه لا يضر المكلف فوات قسط من الدنيا اذا حفظ قائمة دينه
يعني القيام بالواجبات والانتهاء من المحظورات ولا ينفعه حصول الدنيا كلها بعد تضييعه دينه لان ابتياع لذة متناهية
بلذة غير متناهية تخرج اللذة المتناهية من باب كونها نفعا فيدخلها في باب المضار فكيف اذا انضاف الى عدم اللذة
غير المتناهية حصول مضار وعقوبات غير متناهية

اعاذنا الله منها تم الجزء التاسع من شرح
نهج البلاغة لابن ابي الحديد بعون
الله وحسن توفيقه
في ٢٣ ذي القعدة
سنه ١٠٩٧

Copyright © King … University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)